دور الشباب في رقي الأمم وازدهارها الحضاري على أساس الدين والعلم والأخلاق من منظور السيرة النبوية

The Role of Youth in the Advancement of Nation and Prosperity of Civilizations on the basis of Religion, Science and Ethics in the light of Sīrah

الدكتور أشرف عبدالرافع الدرفيلي*

ABSTRACT

Islam took great care of youth, because youth in Islamic nation are the shining stars, they are the backbone of nation and source of its survival and the pillars of advancement in the peace, and the soldier of victory in the war, and the hope of nation's present and future.

Nations achieve greatness on the shoulders of their faithful and committed youth those who want progress, innovation and scientific competition in all sphere of the life, and serve great in uplifting of their Islamic nation.

This article is an attempt to answer some questions, such as: possibility of the renewal of ideas of youth and concepts of the religious texts to work on drafting a practical approach for the advancement and prosperity based on the teachings of the religion that urges to wisdom with knowledge and ethics?

This article deals with the Importance of youth’s role in progress of the nations and development of their civilizations in light of Holy Qur’an, Writing the idiomatic concept of the word "civilization, the impact of religion, science and ethics in advancement and property of nations, the causes and factors that led to the decline of the Islamic civilization, the foundations and pillars of western civilization, and the most important foundations on of the youth for advancement and prosperity of the nation.

All these points are discussed in the article with a special reference of Quran and Sunnah and the life of Holy Prophet (ﷺ) is taken as an excellent example for the development of nation with special reference to its youth.

Key words: *Advancement, Prosperity, Civilization, Ethics, Sīrah*

* أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلاله وجماله وعظمته، واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، خلق الكون بقدرته، ودبّر الأمر بحكمته، يحكم ولا معقب لحكمه، ويعلم الخفايا ولا حدود لعلمه، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وصفوة خلقه محمداً عبده ورسوله، فصَلّ اللهم وسلّم عليه وعلى آل بيته الطيبين الأطهار، وعلى صحبه الأخيار، بعدد كل داء ودواء، وبعدد ورق الأشجار، وبعدد الزروع والثمار، وبعدد ما تعاقب الليل والنهار، وبعدد حبات الرمال والأحجار، وبعدد قطرات المياه في العيون والآبار والمحيطات والأنهار، وسلم تسليماً كثيراً ... وبعد.

مقدمة البحث

يرتكز على الشباب دور هام في بناء المجتمع، ولقد أشار أصحاب السير أن الشباب كانوا أحد الركائز الأساسية في نصرة الرسول ﷺ، كما أن النبي أكد على أهمية الشباب في تقدم الأمة ونصرة دينها، وهذا يدعونا إلى العمل جاهدين من أجل يقظة الشباب والابتعاد بهم عن ذلك السبات العميق، والخروج بالعقلية المسلمة عموماً من كهفيتها التي أطبقت عليها، والعودة إلى منابع الدين الحنيف، وبُعد الشخصية المسلمة عن الإمعة والممايعة، والبُعد عن التبعية السلبية البغيضة، وعدم مداهنة الغرب والخنوع له والسير في زيل ركابه... إلخ، ضرورة حتمية تفرضها وتتطلبها مقتضيات العصر والواقع .

ولعلي أحاول من خلال هذا البحث الإجابة عن بعض الأسئلة، ومنها :هل من الممكن لشباب الأمة الإسلامية من خلال تجديد أفكارها ومفاهيمها الدينية للنصوص أن يعملوا على صياغة منهج تطبيقي لرقي الأمة وازدهارها مؤسس ومستمد من تعاليم الدين الذي يحث على إيقاظ العقل مع التسلح بالعلم والأخلاق؟

"ولا يمكننا إغفال الدور الرائد للعلماء المسلمين من أجل تصحيح مسار الأمة ورسم الطريق للطاقات الشبابية، وتحرير طاقاتهم من الجمود والرجعية والتخلف والعطالة، ثم عملهم على إزالة عوامل الاستبداد والظلم والفقر والتدني الحضاري مستحضرين في كل التصور القرآني والسنة النبوية وسيرة رسول الله وصحابته الأجلاء، فالتجارب التجديدية منذ زمن الإمام الشافعي – وقبله – تجتهد لإيجاد مشروع حضاري تسترجع به الأمة فاعليتها الحضارية ودورها التاريخي، كحضارة شاهدة علي الناس، وفق مطلوب الشريعة من جهة، ووفق متطلبات الزمان وأهله وواقع العصر من جهة أخرى، وسيراً بعده نرى مشروع الإمام أبي المعالي الجويني في كتابه "غياث الأمم في التياث الظلم"، و "البرهان"، ومشروع أبي حامد الغزالي في جملة من كتبه الكثيرة مثل "إحياء علوم الدين"، و"المستصفي"، و "المنقذ من الضلال"، ومشروع الإمام عبد الرحمن بن خلدون في كتابه "المقدمة"، ومشروع الإمام أبي إسحاق الشاطبي في كتابه "الموافقات".

وفي العصر الحديث فإن الجهود لم تنقطع من أجل إيجاد نظرية علمية شاملة لإحياء البعث

الحضاري، ولكن الظروف التاريخية التي عايشوها وواقع الحال لم يتح لهم إلا التطرق لجانب أو أكثر من أجل إيجاد علاج يضمدوا به جراح نزيف الواقع الحضاري المتردي للأمة.

وكل هذا يعبر عن مجهودات علمائنا المسلمين، وسعيهم لإنقاذ الواقع الحضاري المتردي من السقوط في الهاوية، والحفاظ على الهوية الإسلامية، ثقافياً، واجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً، وأن تسترجع الأمة وظيفتها الحضارية، ورسالتها الاستخلافية .

وعلى الرغم من هذه الجهود الضخمة – التي ما زالت بحاجة إلى دراسة وتحليل – نرى أن العامل المشترك والدافع الأكبر الذي يجمع بين أصحاب المشاريع التجديدية للنهوض الحضاري هو استيعابهم لأهمية استرجاع الأمة لفاعليتها الحضارية ودورها التاريخي كحضارة شاهدة على الناس.

ولقد تعددت الإجابات وتزاحمت الأقلام التي تدور في فلكه وتنوعت الرؤى الفاحصة لإيجاد تفسيرٍ للواقع المتردي للحضارة الإسلامية، خاصة مع زوال آخر خلافة إسلامية كانت تجسد الواقع الحي للحضارة الإسلامية، فمع سقوط الخلافة العثمانية ككيان حضاري يعبر عن وجدان الأمة الإسلامية، ويمثل خياراتها في الحياة، ونمطها في العيش، ومنهجها في المشاركة والتفاعل الإنساني العالمي، تقف الذات الإسلامية وقفة تأمل وتفكر في مسيرة أحداثها، وصفحات أعمالها، وعوامل هدمها، وأسباب نهوضها، وسر قوتها، ومكمن ضعفها وتخلفها وتأخرها"[١].

وفي هذا البحث المتواضع، سوف أتحدث عن أهم العناصر والمحاور ذات الصلة بالموضوع للإجابة عما سبق ذكره قدر الإمكان مستخدماً المنهج التحليلي مع الاستعانة بالمنهج المقارن، وهي كما يلي :

المحور الأول : أهمية دور الشباب في رقي الأمم وازدهارها الحضاري في ضوء القرآن والسنة النبوية.

المحور الثاني : أثر الدين والعلم والأخلاق في رقي الأمم وازدهارها .

المحور الثالث : أهم الأسس التي يرتكز عليها الشباب لرقي الأمة وازدهارها .

---

(١) لقد تناول الشيخ محمد الغزالي مناقشة كل هذه القضايا بشمولية ومنهجية علمية في العديد من مؤلفاته أبرزها: الإسلام والاستبداد السياسي، الإسلام والطاقات المعطلة، الإسلام المفترى عليه بين الرأسماليين والشيوعيين، الاستعمار أحقاد وأطماع. انظر كتابنا : الدرفيلي، أشرف عبد الرافع، الدكتور، البُعد الإيماني في فلسفة الحضارة، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١٤م، ص:٥

المحور الأول: أهمية دور الشباب في رقي الأمم وازدهارها الحضاري في ضوء القرآن والسنة النبوية

لقد عنى الإسلام بالشباب عناية فائقة، لأن الشباب في الأمة الإسلامية غرتها اللامعة، وشمسها الساطعة، والدم الحار الذي يتدفق في عروقها، وهم عصب حياتها، ومادة بقائها، وأركان رقيها في السلم، وكتائب نصرها في الحرب، ومحط أمالها وعدة الأمة حاضره، وأمله في مستقبله، وعمادها في رفع منارها، وإعلاء قدرها، والذود عن حياضها، ومعقد رجائها في شدتها وبأسها .

ولقد أثنى القرآن الكريم على مجموعة من الشباب كانوا نماذج للإيمان الكامل، وأمثلة للكفاح الشامل، يقتدي كل شاب بنضالهم، ويسير على منوالهم، إنهم فتية أهل الكهف الذين تركوا ما كان يعبده أقوامهم من أوثان، ولجأوا إلى كهف بعيد ليعبدوا الواحد الديان، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۞ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾(١).

والشباب أكثر فئات الأمة إرادة للتغيير والنهوض الحضاري، فهم يرفضون الحياة التي يسيطر عليها الظلم والقهر والفساد والاستبداد لأنها من معوقات الرقي والتقدم الحضاري، فيهرعون إلى الدعوات الإصلاحية، حيث يجدون فيها ما ينشدون من حرية وعدالة، ويذكر لنا التاريخ الصادق أنباء الشباب الذين تفتحت عقولهم على طريق الخير ودحر الباطل في مختلف صوره وساهموا في تشييد صرح حضارة التوحيد الصافي من الشوائب والخرافات، فها هو القرآن الكريم يقص لنا نبأ أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، الذي تفتح قلبه وعقله على الإيمان وهو في ريعان شبابه، فينكر عبادة النجوم والقمر والشمس، وينفض فكره عن المجسمات جميعاً، ويشير إلى السر الأكبر في الحياة والكون، ويهتف وقد وجد يقينه ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢).

ويمضي معلناً الثورة على الأصنام التي تُعبد من دون الله، ولم يبال بوعيدهم ولا بتهديداتهم التي صرحوا بها علانيةً كما ورد في سورة الصافات والأنبياء ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾(٣)، ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۞ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾(٤)، ولكن لأنه يدافع عن الحق والعقيدة الصحيحة التي ينطلق من خلالها الإنسان المستخلف لتعمير الكون، كان تأييد الله له، وإنقاذه من الطغاة المستكبرين، فقال من يقول للشيء كن فيكون: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٣ - ١٤

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٩

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٦٨

(٤) سورة الصافات، الآية: ٩٧ — ٩٨

وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۞ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾[١].

ثم يذكر لنا القرآن الكريم نماذج من الأنبياء ساهموا في التطور الحضاري عن طريق الصناعة، منهم سيدنا نوح عليه وعلى نبينا وآل بيته الطاهرين الصلاة والسلام، الذي أوحى إليه ربه بصنع السفينة لكي تنقله ومن معه من المؤمنين إلى مكان أخر عبر البحر ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ۞ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۞ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ۞ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢].

ولقد كان لصنع سيدنا نوح للسفينة دور كبير إلى يومنا هذا في نقل الناس والحيوانات والبضائع التجارية عبر البحار، وتسهيلها للتواصل والتقارب بين البلاد.

ويذكر لنا القرآن كذلك نماذج من شباب الأنبياء برعوا في تفسير الأحلام، بل وكانوا نماذج مشرفة للرقي الحضاري في الجانب الاقتصادي، منهم سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا وآل بيته الصلاة والسلام، ذلك النبي الذي أنقذ مصر وبلاد الشام من القحط والجفاف والهلاك، رغم كل ما حدث معه من مكائد النساء وزجهم به في السجن، لكن وازعه الإيماني رفض السلبية، وأبى إلا أن يشارك في إنقاذ البلاد والعباد ورفعتهم وتقدمهم، فقال ما قصه القرآن الكريم في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۞ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۞ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[٣].

فهؤلاء كانوا نماذج من الشباب الأخيار، والأنبياء الأطهار ساهموا بمددٍ وعونٍ من الله في مسيرة الإنسان الحضارية، رغم ما لاقوه من عنت الطغاة والمستكبرين والمشركين، ولكن دافع الإيمان بالله كان محركهم ودافعهم لكل عمل يعود نفعه على البشرية جمعاء.

ونبينا ورسولنا محمد ﷺ، جاء منقذاً لكل بني الإنسان، ومغيراً لخريطة الكون المتهالكة والمتناحرة، ويكفيه فخراً وشرفاً أنه أرسى أهم المبادئ التي تقوم عليها أي حضارة نافعة، ووضع معالم الرقي والتقدم من أخلاق سامية، وعقيدة صافية، وقوانين عادلة، وحرية منضبطة، واحترام للآخر.

وسار على ضربه آل بيته الأطهار وصحابته الأخيار، فها هو سيدنا علي كرم الله وجهه، كان

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩-٧٠

(٢) سورة هود، الآية: ٣٧-٣٨

(٣) سورة يوسف، الآية: ٥٣-٥٤

نموذجاً فريداً للشباب الصالح والنافع، ويكفيه شرفاً أنه أول فتى ساهم في وضع لبنة من لبنات التوحيد، ولعب دوراً سجله التاريخ بأحرف من نور، في صنع أول سطر من السطور في صفحات الحضارة الإسلامية، تجلى ذلك من خلال غرسه لمبدأ التضحية والوفاء والأمانة، ونومه في فراش رسول الله ﷺ، وتسلمه الودائع والأمانات من رسول الله وتسليمها لأصحابها.

وسيدنا مصعب بن عمير الذي كان أول سفير في الإسلام إلى يثرب التي مهد الطريق فيها لدعوة الله ولتكون مستقر هجرة رسول الله وصحابته، وتكون أول دولة موحدة لله على وجه الأرض .

وهذا نموذج نقدمه للغرب، الذي يدعي التقدم الحضاري، ويسلب الأموال من أي دولة لا تتبع مخططاته الإجرامية، أو تخالفه الرأي .

ونقدم ذلك نموذجاً مشرفاً للشباب المسلم، ونقول له: أن الرقي والازدهار والتقدم الحضاري للإسلام لا يكون إلا من خلال الاقتداء بالنماذج الساطعة، التي شيدت صرح الحضارة الإسلامية في عهدها الأول بالتضحية والفداء دون خوف من عقوبات اقتصادية أو قرارات أممية مطبوخة على حسب المزاج والمذاق الأمريكي، فلابد أن نقتحم بجسارة الإسلام وعزته التي أعزنا الله بها سبل الرقي وطرق التقدم والازدهار، من خلال نفض التراب عن حضارتنا الإسلامية التي قادت البشرية عهوداً طويلة وإلى الآن بفضل الله.

ولعل قراءة متأنية في سيرة سيدنا مصعب ابن عمير، وسيدنا أسامة بن زيد، وأنس بن مالك، وخالد بن الوليد، وسيدنا الحسن والحسين، وغيرهم من النماذج الشابة، التي ساهمت في بناء الحضارة الإسلامية، كفيل بفتح الطريق أمام شباب الأمة الإسلامية في العصر الحديث، لعودة الحضارة الإسلامية لمجدها وعزها وقوتها واتحادها.

لهذا نجد أن النبي ﷺ قد أعطى الشباب الثقة ومنحهم المسئولية خلافاً لما يعيشه بعض من الناس اليوم، فإن النبي ﷺ قد منح زيد بن حارثة وهو شاب وجعفر بن أبي طالب وهو شاب وعبد الله بن رواحة وهو شاب منحهم الثقة، وسلمهم قيادة جيش مؤتة، وما أدراك ما مؤتة .. أول معركة بين المسلمين والرومان[١]، بل إن النبي ﷺأعطى أسامة بن زيد قيادة جيش فيه رجال من كبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، وقد كان عمر أسامة آنذاك ثماني عشرة سنة، ويرسل معاذ بن جبل ﷺ إلى بلاد بعيدة، وفي مهمة عظيمة، ومسئولية جسيمة، يرسل سيدنا معاذاً إلى اليمن وهو لا يزال بعد في ريعان شبابه، ويرسله على قومٍ ليسوا على مذهبه وملته وديانته، ويقول له ﷺ: « إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ

(١) غزوة مؤتة أو سرية مؤتة، جرت الغزوة في جمادى الأولى من العام الثامن للهجرة (أغسطس ٦٢٩م) بسبب قتل الصحابي الحارث بن عمير الأزدي رسول النبي محمد ﷺ إلى ملك بصرى على يد شرحبيل بن عمرو بن جبلة الغساني والي البلقاء الواقع تحت الحماية الرومانية، إذ أوثقه رباطاً وقدمه فضرب عنقه.

اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ» إلى آخر توجيه النبي ﷺ لسيدنا معاذ[١]، وهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول فيما رواه الإمام أحمد في مسنده : «كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَابٌ وَلَيْسَ لَنَا نِسَاءٌ»[٢]، بمعنى : لا نزال فتية في بداية الشباب، لذا أوصي النبي ﷺ بالشباب فقال ﷺ «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» [٣]، وقال ﷺ « إِنَّ اللَّهَ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ» [٤].

وقال ﷺ « مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»[٥].

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ: « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[٦].

المحور الثاني: أثر الدين والعلم والأخلاق في رقي الأمم وازدهارها

أولاً : الدين: "هو مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة، اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة"[٧].

ولكن ما نقصده هنا: هو دين الإسلام، وهو نظام الحياة الصحيح المرضي عند الله، المبني على طاعة الله تعالى كما قال ربنا في كتابه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[٨].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم الحديث:٣٤٤٧، تحقيق: زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ

(٢) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المسند، رقم الحديث:٣٧٠٦، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م، ٢٣٧/٦

(٣) الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، رقم الحديث: ٧٨٤٦، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى:١٩٩٠م، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

(٤) مسند الإمام أحمد، رقم الحديث: ١٧٣٧١، ٦٠٠/٢٨، ومعنى "صبوة": ميل إلى الهوى بحسن اعتياده للخير وقوة عزيمته في البعد عن الشر. انظر: المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى:١٣٥٦م

(٥) مسلم، أبو الحسن مسلم ابن الحجاج القشيري، المسند الصحيح، رقم الحديث:٢٨٣٦، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢١٨١/٤

(٦) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ: من استطاع منكم الباءة، رقم الحديث:٥٠٦٥

(٧) محمد قدري، رسالة جليلة في التمدن، دار النجاح، القاهرة، ١٢٨٧هـ، ص:٣٦

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١

وكما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١].

والدين له عدة تعريفات في الاصطلاح، منها: بأنه الأوامر والنواهي المبثوثة في القرآن والسنة الصحيحة، ويذكر الإمام النورسي بأن الدين: هو امتحان، وأن التكاليف الإلهية تجربة واختبار من أجل تسابق الأرواح العالية والأرواح السافلة، ويتميز بعضها عن بعض في حلبة السباق، وبمعنىٰ آخر: هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة علىٰ أوامر إلهية، أو هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه، وهو التطلع إلىٰ اللانهائي وهو حب الله".[٢]

ومهما يكن من تعدد التعريفات للدين، فإن المقصود هو كليات الدين من خلال النظرة الكونية الإسلامية التي تنتظم في سلكها النظم الفكرية المختلفة، وتشكل الأساس العقدي للإنسان المسلم، فتحدد نظرته للكون ويفسر الوقائع، وتمنح للحياة قيمتها ومعناها، وتبين للإنسان دوره في صنع الأحداث، وغايته في الوجود، فيقع بذلك أثر تلك النظرة علىٰ الفرد والمجتمع، في سعيهما لأداء رسالة الاستخلاف والرقي والازدهار والبناء الحضاري.

ولعل إعادة النظر في صورة التدين والبعد عن النظرة السطحية للدين، والسعي للتأمل في الكون بمنظار القرآن من أجل تحقيق النظرة الكونية الإسلامية المرجوة، ومن أجل إحياء معنىٰ الكونية الإسلامية العالمية بجميع معانيها وغاياتها، باتت ضرورة هذا العصر، لأن الإنسانية غدت تعيش صوراً متناقضة في الحياة، بين التطور العلمي والتقني من جانب، وازدياد الاضطراب النفسي والشقاء المادي من جانب آخر، وهذا الأخير يتطابق مع ما يشهده الغرب من تقدم مادي لم يصاحبه تقدم روحي، وهو ما شهد به علماء الغرب أنفسهم،كشبنجلر[٣] واشفيتسر [٤] وتوينبي[٥] وغيرهم .

ولعل التعريف بالخالق وتحقيق الإيمان به وبعالم الغيب بصورة عامة والالتزام بمنهج القرآن والسنة والنظر في الإنسان المستخلف وبيان غايته في الحياة، وماهيته، ودوره الذي يرجىٰ منه، سيكون الدافع

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥

(٢) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، الكلمة السابعة، دار سوزلر، القاهرة، الطبعة الأولىٰ:٢٠٠٨م، ص:٣٩٥ بتصرف

(٣) "أوزولد شبنجلر" فيلسوف ألماني ولد عام ١٨٨٠م، صاحب الكتاب الشهير " أفول الغرب" أو "تدهور الحضارة الغربية"، وهو الفيلسوف الذي طبق نظرية أعمار الأمم والحضارات من المولد حتىٰ الشيخوخة والموت

(٤) ألبرت اشفيتزر (١٨٧٥م – ١٩٦٥م) فيلسوف وطبيب وعالم ديني وموسيقي ألماني، حصل عام ١٩٥٢م علىٰ جائزة نوبل للسلام لفلسفته عن تقديس الحياة، لكن من أعظم وأشهر أعماله تأسيس وإدارة مستشفىٰ في الغابون، غرب وسط أفريقيا.

(٥) أرنولد جوزف توينبي، مؤرخ بريطاني صهيوني شهير، ولد في ١٤ أبريل ١٨٨٩م في لندن وتوفي في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٥م. أهم أعماله موسوعة دراسة للتاريخ، وهو من أشهر المؤرخين في القرن العشرين.

الحركي لشباب الأمة، وسيؤدي لتفعيل الدين، وإيجاد الإيمان التحقيقي.

وتلك مهمة ينهض بها الرسل والأنبياء ومن تبعهم وسار على نهجهم من المصلحين الأتقياء، وشباب الأمة الغيورين على دينهم وواقع أمتهم المزري، معتمدين في ذلك على التذكير بالأصول بعيداً عن القضايا الخلافية الفرعية، وبعثاً لشعاب الإيمان الميتة في النفوس، وشحذا للهمم وللأذهان، وتعبئة للطاقات نحو البناء الحضاري بتفعيل الدين واقعاً عملياً على وفق مقتضيات العصر ومتطلبات الواقع .

وفعالية الدين للبناء الحضاري بصورة عامة، قائمة على عاملين:

أحدهما: ذاتي.

والآخر: خارجي.

أما العامل الذاتي: فهو طبيعة الدين نفسه، من حيث كونه قائماً على أصول عامة مجردة وتصورات كلية، موافقة للفطرة الإنسانية السوية، تلبي حاجاتها الروحية والمادية، وتجيب عن أسئلتها المعرفية الوجودية، عن المبدأ والمصير والكون والحياة، ثم من حيث كونه منهجاً كاملاً للحياة، به تنضبط وجوه النشاط الإنساني قولاً وفعلاً وسلوكاً ومنهجاً وتتحدد علاقاته.

أما العامل الثاني: فهو أمر تبعي، قائم على القوة الإيمانية الكامنة في قلوب المؤمنين بالدين، وإخلاصهم المدعوم بحركة التجديد والبعث والإحياء المستمرة لمعاني تلك الأصول الإيمانية في القلوب، طوراً بعد طور في وجه تقلبات الحياة وابتلاءاتها، لإزالة الران عن القلوب، ولتبديد الشبهات، وتجاوز صروف الزمن وعوامل الانحراف التي قد تحجب من الدين جوهره وإن أبقت شكله ومظهره .

وفي الحقيقة لابد أن يضع الشباب أمام عينيه شيئين خلال سعيهم للرقي والتقدم للحضارة الإسلامية:

أولاً: أن سبب تخلف المسلمين وسيطرة الغرب على ثرواتهم وقراراتهم هو بُعد حكامهم ومن دخل تحت عباءتهم ممن ينتسبون انتساباً ويسمون أنفسهم "رجال دين السلطة" عن منهج القرآن الحضاري، بسوء غفلة أو وعي، أو بقصدٍ وعمد، وذلك لهدم شخصية الأمة الإسلامية هدماً عقدياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً.

ثانياً : إن سبب تعفن الحضارة الغربية، وقرب زوالها وانهيارها، كما تنبأ بذلك جميع من تحدثوا في فلسفة الحضارة من علماء الغرب أنفسهم، بدءاً بأوغسطين، ثم شبنجلر، ثم ألبرت أشفيتسر، ثم توينبي، ثم وول ديورانت، وغيرهم كثير، هو بُعد تلك الحضارة عن الدين وخصومتها له وللكتب المقدسة والرسالات.

ولهذا يرى النورسي أن مظاهر التقدم العلمي الذي تميزت به الحضارة الغربية الحديثة قد أسهمت فيه بعض التصورات الإيجابية في الفكر النصراني، فقد استثنى في انتقاده لمقومات الحضارة الغربية قائلاً : "ولئلا يساء الفهم، لابد أن ننبه أن أوروبا اثنتان .. إحداهما : هي أوروبا النافعة للبشرية

بما استفاضت من النصرانية الحقة – أي من ذلك البصيص الخافت من الوحي الرباني الذي بقى عالقاً بالمسيحية – وأدت خدمات لحياة الإنسان الاجتماعية بما توصلت إليه من صناعات وعلوم تخدم العدل والأنصاف، فلا أخاطب — في هذه المحاورة – هذا القسم من أوروبا"[١].

وينتقل لبيان مثالب هذه الحضارة والعلة في فسادها وضررها للبشرية لتحذير الأمة الإسلامية بعدم تقليدها والسعي في ركابها، وخاصة فئة الشباب منها، فيقول موضحاً أسباب تعفنها ومساوئها قائلاً: "يا أوروبا التي نأت عن النصرانية وابتعدت عنها وانغمست في السفاهة والضلالة، لقد أهديت بدهائك الأعور كالدجال لروح البشر حاله جهنمية، ثم أدركت أن هذا الحالة داء عضال لا دواء له، إذ يهوى بالإنسان من ذروة أعلى عليين إلى درك أسفل سافلين، وإلى أدنى درجات الحيوان وحضيضها، ولا علاج لك أمام هذا الداء الوبيل إلا ملاهيك الجذابة التي تدفع إلى إبطال الحس وتخدير الشعور مؤقتاً، وكمالياتك المزخرفة، وأهواؤك المنومة ... فتعساً لك ولدوائك الذي يكون هو القاضي عليك"[٢].

ثم يسوق بعد ذلك نصاً يبين فيه أن الحضارة الغربية لا تسمع، وصمت أذنها عن تعاليم الدين، فأوقعت البشر في بئر الفقر الأخلاقي والرذيلة، وفتحت الطريق للظلم والاستعباد وارتكاب المحرمات فيقول: "إن المدنية الغربية الحاضرة لا تلقي السمع كلياً إلى الأديان، لذا أوقعت البشرية في فقر مدقع، وضاعفت من حاجاتها ومتطلباتها، وهي التي تتمادى في تهييج نار الإسراف والحرص والطمع عندها بعد أن قوضت أساس الاقتصاد والقناعة، وفتحت أمامها سبل الظلم وارتكاب المحرمات، زد على ذلك فقد ألقت بذلك الإنسان المحتاج المسكين في أحضان الكسل والتعطيل المدمر بعد أن شجعته على وسائل السفاهة، وهكذا بددت الشوق لديه إلى السعي والعمل، فأضاع الإنسان عمره الثمين سدى بإتباعه هوى المدنية الحاضرة، وبسيره وراء سفاهتها ولهوها " [٣]

وتتوافق رؤية النورسي وحكمه على الحضارة الغربية مع رؤية وحكم الشيخ "محمد الغزالي" حيث يقول: "هناك إحساساً عاماً بأن هذا التقدم المادي لم يواكبه تقدم روحي، وإن إنسان العصر الحديث لا يختلف كثيراً عن إنسان العصر الأول في غرائزه وشهواته، وإذا كانت ثمة فروق ففي الوسائل لا في البواعث والغايات، بل لقد قيل في إنسان هذا العصر: إن عضلاته أكبر من عقله ... والحضارة الغربية اتسع علمها وضاق أدبها، أو طالت ثقافتها وقصرت تربيتها، فهي الآن تصنع أجيالاً لا تعرف إلا الحياة

---

(١) السايح، أحمد عبد الرحيم، قضايا معاصرة في فكر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، شركة سوزلر، القاهرة، الطبعة الأولى:٢٠٠٥م، ص:٢١. وانظر: محمد بنتهيله، موقف النورسي من الحضارة الغربية، أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، المؤتمر العالمي السادس بإستانبول، دار سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى:٢٠٠٨م، ص:٣٠٩

(٢) النورسي، بديع الزمان، اللمعات، دار سوزلر، القاهرة، الطبعة الأولى:٢٠٠٨م، ص:١٧٨

(٣) النورسي، بديع الزمان، الملاحق، دار سوزلر، القاهرة، الطبعة الأولى:٢٠٠٨م، ص:٣٨٠

ليومها فوق هذا التراب، وتؤمن أنها لن تحيا مرة أخرى أبداً، ومن هنا غلب عليها هذا السعار في اقتناص الموجود، والركض وراء المفقود، والقد على من وجد، والازدراء على من فقد ... إنها لا تؤمن بالله واليوم الآخر، ورجال الدين مشغولون بسخائمهم القديمة:

إن كانوا هوداً: فهمهم الأكبر امتلاك أرض الميعاد كما يحلمون.

وإن كانوا نصارى: فهمهم الأكبر استعادة قبر المسيح والثأر ممن أخذوه في العصور الوسطى.

فهل هذا تقدم علمي، أم نجاح للغرائز الهابطة والأغراض الدنيا .. إن العلم مهما تقدم لا يغني عن الإيمان، والإيمان الذي نحترمه هو الذي يعانق العقل وتزدان به الحياة "(١).

ويوجه الإمام النورسي الأنظار إلى أن أُس أساس حضارتنا هو الدين، وأن ابتعادنا عن الدين والعقيدة الصحيحة كان سبباً لتجميد هذه الحضارة .. وفي المقابل يبرهن على ذلك بأن الحضارة الغربية عندما همشت الدين جانباً زادت عيوبها وقلت حسناتها، فيقول: "إن المدينة الحاضرة الغربية لسلوكها طريقاً مناقضاً لأسس ودساتير السماء، وقيامها بمناهضتها، فقد طفح كيل سيئاتها على حسناتها، وثقلت كفة أضرارها على فوائدها، فلقد أضطرب أمن الناس واطمئنانهم، وأقلقوا وأسنت سعادتهم الحقيقية، فاختل ما هو مطلوب من المدينة ومقصود منها" (٢).

ثانياً: العلم: تنطلق رؤية الإسلام إلى العلم وعنايته بالمعرفة، بمختلف أنواعها وتعدد مجالاتها وآفاقها، من اهتمام الله تعالى وعنايته البالغة بتعلم البشر — منذ بدء الخليقة — جملة من العلوم، وأصنافاً من المعارف التي تفي بحاجته، والتي لا تستقر الحياة بدونها، حاضراً ومستقبلاً، ليتمكن من تعمير الأرض والاستقرار فيها، وليطمئن من الخلافة فيها وإدارة شؤونها التي هي الوظيفة الأساسية، والحكمة الكامنة من خلقه ووجوده على قيد الحياة .

وليكون أفضل مخلوقات الله تعالى، وأشرفهم في هذا الوجود المتميز، وخير دليل على ذلك قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣)، وهذا دليل على أن الإنسان ما فاز بالتشريف والخيرية والاستخلاف، إلا بسبب ما تميز به عن سائر مخلوقات الله بالعلم والمعرفة، بل إن العلم والمعرفة كانت من الأسباب التي جعلت الملائكة – وهم أطهر مخلوقات الله – تسجد لهذا الإنسان الخليفة المكرم .

وتحقيقاً لهذه العناية وتفعيلاً لها عناية وتكريماً من رب العالمين بالإنسان المكرم، بعث الله رسوله محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ليرفع راية العلم والمعرفة خفاقة بين الإنسانية جمعاء، ومحاربة الجهل

---

(١) محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، ص٢٢٣-٢٢٧، دار ثابت، القاهرة، ١٩٩٦م. بتصرف

(٢) الملاحق، ص:٣٧٧

(٣) سورة البقرة، الآية:٣١

والأمية، والقضاء على التقليد الأعمى، حتى يتلاشى ويندثر، فيبقى الناس على الحرية الكاملة في الفكر والاعتقاد، ومصداقية هذا القول تتجلى في أول كلمات الوحي التي نزلت على الحبيب محمد ﷺ، وأستهل بها رسالته بكلمة " اقْرَأْ" والتي تدعوا إلى العلم والمعرفة، وذلك في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾(١).

فعلى الشباب أن يعلم أن الإسلام يقرر أنه لا يمكن أن يسموا بالأمة إلى المستوى الأعلى والأرقى والانطلاق بهم إلى بلوغ الكمال إلا "بالعلم والمعرفة" وإعمال العقول وتشغيلها في النظر والتفكر الحر فيما أودع الله في هذا الكون البديع"(٢).

ولقد ساد المسلمون الأوائل بفضل دعوة القرآن المعرفية لهم العالمَ كله، وشيدوا حضارة عظيمة، ولكن شيئاً فشيئاً، وبسبب البعد عن المصدر المعرفي الأول للمسلمين – القرآن الكريم – كان الانحطاط الحضاري والمعرفي في كثير من بلاد المسلمين "وذلك لأن واقع الجهل الذي ربطنا بديننا جعلنا نتمادى في الابتعاد عن مراميه البناءة حتى بات الدين غريباً بيننا، ومما زاد الوضع تفاقماً هو انحرافنا المعرفي عن أصول هذا الدين القويم"(٣).

هذا بالإضافة إلى تلوث المعرفة الإسلامية من الثقافات الأممية والكتابية، نتيجة الفتوحات التوسعية، واحتضان الأقوام الوافدة إلى حظيرة الدين الإسلامي، واندماجها في البوتقة المعرفية الإسلامية"(٤).

وهذا يبين أن جهلنا بحقائق الإسلام جعلنا نُدخل فيه من التعاليم والمفاهيم ما ليس منه، ويبين كيف شوه دخول الإسرائيليات وقسم من الفلسفة اليونانية الأفكارَ والحقائق التي جاء بها الإسلام.

وهنا يبرز للأمة الإسلامية وشبابها سؤالاً يستفز به القوى الكامنة في النفوس، ويستنفر هممهم وعزيمتهم، وذلك لكي نبين أنهم ليسوا أقل شأناً من الأمم الأخرى، بل الأفضلية لنا إذا نهلنا من منبع المعرفة الموحى به من السماء، فيقول :"لماذا تكون الدنيا ميدان تقدم وترق للجميع وتكون لنا وحدنا ميدان تأخر وتدن"(٥) مع "أن أوائل أكثر الآيات القرآنية وخواتيمها كقوله تعالى: (فاعلموا .. فاعلم .. أفلا تعقلون ... أفلم ينظروا ... أفلا يتذكرون ... أفلا يتدبرون ... فاعتبروا يا أولي الأبصار ...)

---

(١) سورة العلق، الآية:١-٣

(٢) داود عبد الكريم زكريا، عناية الإسلام بالعلم والمعرفة، صحيفة الدعوة الإسلامية الصادرة من طرابلس، جمهورية ليبيا، العدد رقم: ١١٢٢، ص:١١، بتصرف

(٣) د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، دار سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى:٢٠٠٤م، ص:٣٢٠

(٤) النورسي، بديع الزمان، صيقل الإسلام، دار سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى:٢٠٠٨م، ص:٣٠٤

(٥) النورسي، بديع الزمان، سيرة ذاتية، دار سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى:٢٠٠٨م، ص:١١٤

وأمثالها من الآيات التي تخاطب العقل البشري، فهي تسأل : لم تتركون العلم وتختارون طريق الجهل؟ لم تعصبون عيونكم وتتعامون عن رؤية الحق؟ ما الذي حملكم على الجنون وأنتم عقلاء؟ أي شيء منعكم من التفكر والتدبر في أحداث الحياة؟"(١)، "ولابد وأن يتنبه الشباب لإدعاءات الغرب الكاذبة: بأن الإسلام يتنافى مع العلم ولا يتفق معه، إنهم أرادوا بذلك أن يضربون الإسلام والمسلمين الضربة القاتلة بعد أن نجحوا في تمزيق المسلمين وتفكيك وحدتهم .

وكل هذا لأنهم يعلمون أن امتلاك المسلمين ناصية المعرفة، معناه: رخاء الأمة، وتقدمها، وتحررها من استعمارهم واستعبادهم، كما أن الذي لا يملك ناصية المعرفة فإنه أسير ذليل لمن يملك ناصية المعرفة.

ولعل ما يؤكد هذا: هو ما ذكره "شمعون بيريز"(٢) : إن رخاء الأمة يأتي حصيلة تجميع المعرفة فالمعرفة هي الثروة الحقيقية على أعتاب القرن الحادي والعشرين"، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك حين يقرر: "أن مواقع الصدارة والهيمنة سيكون للمبادئ القيمة على العلوم والمعرفة التي يتم إحرازها في الجامعات ومعاهد الأبحاث"(٣).

ولا يعني سوق هذا الكلام هو الانبهار بقائله، أو الاستدلال به دون تحفظ، غير أن الأيام تثبت أن من يسيطر على صناعة المعلومة وناصية المعرفة وتوظيفها أقدر على امتلاك الصفوف الأولى.

والنورسي كان ينطلق من اعتقاد جازم، بأنه لا يجوز للعقل الفلسفي المسلم، الذي يمتلك مصدراً معرفياً إلهياً وعقيدة صحيحة، أن يكون عقلاً مقلداً للآخرين في محاولاته الفلسفية .

بل ينبغي أن تتجه جهوده إلى القرآن الكريم، في محاولة منه لاستخراج أصول المعرفة الإنسانية بحقائق هذا الوجود، والمعرفة هي أعلى وظيفة للإنسان في الوجود، وهي ميزة الإنسان، وأساس ومنهج ومادة استخلافه في الأرض، ومركزه في الكون الذي سخره الله له لكي يؤدي فيه وظيفة العبادة لله وحده ويقود مسيرة المعرفة الواعية المسبحة لله مع سائر الموجودات تفقهون﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(٤).

فالمعرفة إذن ميزة ووظيفة، كما أنها تفسير شامل تحمله الكينونة الإنسانية، ملبية هتاف فطرتها في معرفة نفسها ومعرفة ربها، والتعامل مع الواقع الذي تحياه في الكون وملزمة بتعميره .

(١) صيقل الإسلام، ص:٤٩٥

(٢) كان سياسيا وشخصية عامّة إسرائيلية أيقونية، شغل منصب رئيس الدولة (وهو منصب فخري في إسرائيل) من ١٥ يوليو ٢٠٠٧ وحتى ٢٤ يوليو ٢٠١٤، كما تولى رئاسة وزراء إسرائيل مرتين، الفترة الأولى من عام ١٩٨٤ إلى ١٩٨٦، والثانية لسبعة أشهر بين ١٩٩٥ إلى ١٩٩٦ بعد إغتيال إسحق رابين.

(٣) د/ محمد عبد النبي، بديع الزمان والمناعة من آثار العولمة، أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، المؤتمر العالمي السادس بإستانبول، دار سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى:٢٠٠٨م، ص:٦٩

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤٤

واليوم ونحن نعيش أزمات كثيرة، من أخطرها أزمة الفكر بين الأصالة والتغريب، وبين القديم والحديث، نجد أحوج ما نكون إلى وقفة هادئة، نصدق فيها مع فطرتنا ونتوجه فيها إلى ربنا، ونستأنف على هديها مسيرتنا، داعين إلى صياغة جديدة لمجتمعنا الذي أبتلي بهجمات التجهيل والتنفير من المنهج الإسلامي من ناحية، وهجمات الاستشراق والاستغراب من ناحية أخرى.

وأرى أنه لابد من الوقوف على أهم الحقائق والمرتكزات التي يعود ازدهار الحضارة الإسلامية إليها في القرون الذهبية الأولى، فمن المعروف أن ازدهار الحضارة الإسلامية لا يعود إلى الأنظمة الدقيقة والهياكل المحكمة للنظم المختلفة التي جاد بها العقل المسلم مبتكرا أو متفاعلا مع الحضارات الأخرى، ولا إلى النهضة العلمية في الترجمة من اليونان وغيرهم أو التأليف والابتكارات وتطوير المنهج، بل يرجع إلى القيم الحضارية في الإسلام التي حفزت العزائم إلى صناعة الحضارة، فإذا كانت قصة حضارتنا قد بدأت باجتماع الكلمة، فإن القيم الحضارية هي التي جمعت القلوب ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾[1]، وقبل ذلك كانت بين العرب في الجاهلية حروب كثيرة...وأمور يلزم منها التسلسل في الشر، حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان فنشطت الأمة من عقال الجهل والخمول واستشرفت الحضارة والمجد.

وتعتبر القيم همزة الوصل بين الحضارة والثقافة، والجسر الذي يربط العلم بالحضارة، فلولا القيم الحضارية لاخترع الإنسان آلات الفساد ووسائل الغواية التي تؤدي إلى تدمير البلاد وإهلاك العباد —كما هو الحال في منجزات الحضارة الغربية بجميع مجالاتها الحضارية – ومن هنا فإنه يجب على العلماء الربانيين بيان آثار القيم الإسلامية في ظل أزمة القيم التي برزت مع المادية الغربية، ومشكلة الهوية التي تعاظمت مع زوال الخصوصيات الدينية والدعوة العلمانية إلى صراع الحضارات، والسعي لهيمنة الحضارة الغربية على الحضارات الأخرى.

ثالثاً : **الأخلاق** : إن الأخلاق هي جوهر الإسلام وروحه وهدفه وغايته، وهي البعد الحقيقي المهيمن عليه، والساري في جميع جوانبه وتعاليمه، ويؤكد هذا أن الرسول ﷺ أكد أن بعثته ودعوته ورسالته عمادها وارتكازها على الأخلاق، فقال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»[2]، وقد عمل عليه الصّلاة والسّلام على تهذيب أخلاق الشّباب وشحذ هممهم وتوجيه طاقاتهم وإعدادهم لتحمّل المسؤولية في قيادة الأمّة خلقياً وعلمياً، كما حفّزهم على العمل والعبادة، فقال عليه الصّلاة والسّلام: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»[3]، وعدَّ منهم : شاب نشأ في عبادة الله، وحثّ الرّسول ﷺ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٣

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، رقم الحديث:٢٣٧، ومسند الأحمد، رقم الحديث: ٧٨٢٩

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، رقم الحديث: ٦٢٩

الشّباب على أن يكونوا أقوياء في العقيدة والأخلاق، أقوياء في البنيان، أقوياء في العمل، فقال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»(١). غير أنّه نوّه إلى أنّ القوّة ليست بقوّة البنيان فقط، ولكنّها قوّة الأخلاق من خلال امتلاك النّفس والتحكّم في طبائعها، فقال:«ليس الشّديد بالصّرعة، إنّما الشّديد الّذي يملك نفسه عند الغضب»(٢).

لقد بينت السنة النبوية عن أهمية مرحلة الشباب التي تكمن في السؤال عنها مرتين يوم القيامة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال:« لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ»(٣).

ولعل أخلاق حضارة الإسلام تتميز عن غيرها بأنها متلازمة ومترابطة مع الدين تلازماً عضوياً، وليس كما هو الحال والتنازع في أخلاق الحضارة الغربية، بل وصل الأمر بين فلاسفتها لحد التنازع في أيهما تابع للأخر؟ هل الأخلاق تابعة للدين كما هو عند القديس أوغسطين(٤) وتوماس الأكويني(٥)، أم أن الدين تابع للأخلاق كما قال الفيلسوف الألماني كانط(٦)، أم أن الدين مستقل عن الأخلاق كما قال دافيد هيوم(٧)؟ إن حضارة الإسلام ومنهجه تؤكدان أن الدين والأخلاق جسد واحد، وبينهما ترابط

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم الحديث: ٢٦٦٤

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم الحديث:٥٧٦٣

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، السنن، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، رقم الحديث: ٢٤١٧، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية:١٩٧٥م، وقال العلامة الألباني: حديث صحيح

(٤) القديس أغسطينوس ١٣ نوفمبر ٣٥٤م – ٢٨ اغسطس ٤٣٠م كاتب فيلسوف، ولد في مملكة نوميديا (الجزائر) التي كانت مقاطعة رومانية من أمه الأمازيغية القديسة مونيكا وأبيه الوثني باتريسيوس الأفريقي–اللاتيني، تلقّى تعليمه في روما وتعمّد في ميلانو.

(٥) توما الأكويني (١٢٢٥م–١٢٧٤م) قسيس وقديس كاثوليكي إيطالي من الرهبانية الدومينيكانية، وفيلسوف ولاهوتي مؤثر ضمن تقليد الفلسفة المدرسية، أحد معلمي الكنيسة الثلاثة والثلاثين، ويعرف بالعالم الملائكي.

(٦) ولد كانط في ٢٣ أبريل عام ١٧٢٤ بكونجسبرج لأسرة متدينة تعاني الفقر والحرمان والحاجة ثم تلقى تعليمه الثانوي بمدارس المدينة ثم أكمل دراسته بجامعتها "جامعة كونجسبرج" طالباً للاهوت في كلية الفلسفة.

(٧) ولد "دافيد هيوم" لأسرة إسكتلندية برجوازية، وجهته أسرته إلى دراسة القانون، لكنه كان شغوفا بالفلسفة، فخرج على رغبة أسرته في دراسة القانون واتجه إلى دراسة الفلسفة، بعد أن تخرج من جامعة "أدنبره" اتجه إلى التجارة شأن الأسر المتوسطة "البورجوازية" في ذلك الوقت، لكنه فشل في تجارته، فتركها إلى الاشتغال بالكتابة، فسافر إلى فرنسا وهو في سن الثالثة والعشرين، ومكث بها ثلاث سنين وهو يكتب ويحرر بعض المقالات، ثم عاد إلى وطنه ليواصل الاشتعال بالتأليف، ثم عين وزيراً في الحكومة البريطانية، وبقي في منصبه عاماً واحداً (١٧٦٨م)، ثم ترك الوزارة وأقام بمدينة "أدنبره" مسقط رأسه، واشتغل بتحرير فلسفته والتصنيف فيها حتى مات (١٧٧٦م).

وتفاعل، وهما قائمان على مبدأين راسخين، هما: مبدأ الفطرة .. ومبدأ التدين .

المحور الثالث : أهم الأسس التي يرتكز عليها الشباب لرقي الأمة وازدهارها

نستعرض هنا مرتكزات المدنية الإسلامية، أو ما يمكننا تسميتها مدنية "القرآن" بوصفها المدنية الأساس والأم من جهة، وبوصفها المدنية التي ينبغي للبشرية الاتجاه إليها والاحتماء بها في ظل الظروف العالمية الراهنة من جهة أخرى، ولهذا فإن النورسي يعقب نقده العلمي الرصين للمدنية الحاضرة، بتقديم أسس المدنية الإسلامية، البديل الأكمل، والأشمل روحاً ومنهجاً ومضموناً ومآلاً.

ومن خلال الاطلاع على ما دونه علمائنا، نجد أنهم تعرضوا بالإشارة إلى أهم الأسس التي تقوم عليها المدنية الإسلامية، فعلى سبيل المثال نجد النورسي قد تناول أسس المدنية الإسلامية، فقال ما نصه:"أما المدنية التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها، فهي التي ستكشف بانقشاع هذه المدنية الحاضرة، وتضع أسساً إيجابية بناءة، مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية .

نعم إن نقطة استنادها "أي المدنية الإسلامية" هي الحق بدلاً من القوة، والحق من شأنه العدالة والتوازن، وهدفها الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها المحبة والتجاذب، وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية هي الرابطة الدينية والوطنية والمهنية بدلاً من العنصرية، وهذه شأنها الأخوة الخالصة والسلام والوئام والزود عن البلاد عند اعتداء الأجانب، ودستورها في الحياة التعاون، بدل الصراع والجدال والتعاون من شانه التساند والاتحاد، وتضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكماً على الخدمات التي تقدم للبشر، وشأن الهدى رفع الإنسانية إلى مراقي الكمالات، فهي إذن تحدد الهوى، وتحد من النزعات النفسانية، وتطمئن الروح وتشوقها إلى المعالي"(١).

وخلاصة القول : أن هذا المؤتمر الذي يقيمه قسم الدراسات الإسلامية بجامعة نمل جاء في توقيت تشهد فيه الأمة الإسلامية تغييراً جذرياً، ومنعطفاً تاريخياً فاصلاً، وذلك نتاج صحوة الشعوب ورغبتها في يقظة الأمة من سباتها والعودة إلى طريق ريادتها، وتأدية دورها الحضاري الذي صنعه المسلمون الأوائل وضحوا في سبيل تشييده بالنفس والنفيس .

ولكن الأهم – من وجهة نظري – هو تفهمنا لشيئين :-

أولاً : يجب تكثيف البحوث والدراسات في الجانب الحضاري، والتنقيب عن الأسس والمرتكزات التي تساهم في النهوض والتقدم، وإيجاد تفسير لتراجع الأمة حضارياً، حتى يمكننا من خلال هذه الدراسات استخلاص رؤى المفكرين والمصلحين الذين أفنوا حياتهم من أجل رفعة الأمة، خاصة وأنني وجدت خلال إعداد بحثي ندرة البحوث التي تتناول ذلك، وأغلب من عكفوا على مثل هذه الدراسات،

---

(١) صيقل الإسلام، ص:٣٥٩

تناولوها من منظور مفكرين غربيين، وهو عكوف يطابق التوجه لغير القبلة في الصلاة، ولعل نظرة على ما كتبه العلامة محمد إقبال، وأبو الحسن الندوي، وأبو الأعلى المودودي، ومالك بن نبي، وسعيد النورسي، ومحمد الغزالي، والقرضاوي ..إلخ، وغيرهم كثير، كفيل بإثراء ومعالجة الخلل الحضاري للأمة .

ثانياً : أنه لابد من توجيه أنظار الشباب إلى التعامل مع القرآن والسنة أثناء سعيهم للتقدم والنهوض، لأنهما يحتويان على كل ما يُعين الإنسان على التقدم والنهوض، ولأنهما تضمنوا على مبادئ حضارية كلية ومطلقة، وعلى أسس ونُظم لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ومهدوا لحرية الإنسان واختياره في كيفية صياغة وتطبيق تلك المبادئ والأسس حسب حاجات العصر ومعطيات الواقع، فالقرآن والسنة منحوا المبادئ والأسس للنظام السياسي، ولكنهم لم يمنحونا شكل النظام السياسي، وتركوا كيفية اختيار الشكل حسب ما يتطلبه كل زمان ومكان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا وآله وصحبه الكرام الأطهار الميامين

